الدكتور سايح جنيدي*

**النشأة والتعلّم والتعليم:**

ولد سايح جنيدي عام 1948، في محافظة حمص السورية لأسرة فقيرة تعمل في الزراعة، وتنقّل بين مختلف المراكز التعليمية، حيث كانت بداية تعلّمه في محراب القرآن الكريم على يد الشيخ عبد المتعال عيون السود في قرية المباركيّة في ريف حمص، ثم تنقّل بين مدارس مدينة حمص قبل أن يغادرها إلى مدينة حلب، حيث درس أهلية التعليم في دار معلمي حلب، ليصبح معلّما، ومن ثم يباشر تعليم الناشئة في المناطق النائية، وكانت قرية تلحديا في ريف حلب أول محطات انطلاقته، وخلال ممارسته للتعليم التحق بجامعة بيروت العربية، فرع عين شمس، ليدرس فيها علوم العربية وآدابها، وليكون بعدها مدرّسا ناجحاً للغة العربية، ساعده على ذلك شغفه المبكر باللغة العربية وآدابها، وكانت مكتبته تنمو مع مرور الأيام لتذخر بالكتب الأدبية والدينيّة وغيرها.

وعند عودته إلى محافظته حمص مدرسًا ساهم في إنشاء مدرسة في قرية البويضة الشرقية، وكان مدرسا فيها ومديرا لها، وترك فيها بصمة لا يزال يذكرها أبناؤها من حيث جديّة الإدارة والحرص على إيفاء البرامج التعليمية حقها مع النصح والإرشاد والتوعية. ثم انتقل إلى قريته تل الشور (قرى أوشر) حيث ساهم في إنشاء مدرسة فيها أيضاً وتولى إدارتها، وتابع فيها تطوير منهجيات في التعامل مع البرامج الدراسية تتناسب مع البيئة الناشئة لتحقيق أقصى الفوائد العلمية والمعرفية لأبناء قريته والقرى المحيطة بها. كما تعاون مع بعض أصدقائه في العمل على تنشئة جيل من الشباب الذين تمّ إطلاقهم في مختلف ميادين التعليم والعمل، وكان من بين هؤلاء الأصدقاء الدكتور يحيى الخطيب والأساتذة محمود الشلاف ومحمد عيد الدوش ومحمد عيد إدريس ويوسف إدريس وعبد الرزاق هلال... وغيرهم،

**العمل في الشأن العام:**

ترافقت مسيرته التعليمية الطويلة معلّمًا ومدرسًا في مدارس حمص وفي معهد إعداد المدرسين فيها، وأستاذًا في كلية التربية في جامعتها، مع عمله في الشأن العام، حيث بدأ العمل السياسي في نهاية السبعينات سعياً لتجنيب الناس ما أمكن تبعات حرب شنّها حافظ الأسد مستغلا إحكامه قبضته على مراكز السلطة في سورية، وشبكة الأجهزة الأمنية التي طورها ومنحها صلاحيات استثنائية ضد شريحة كبيرة من الشعب السوري بحجة مواجهة الإخوان المسلمين في سورية.

* Sulaiman, İbrahim. "Saih Cüneydî". *Recep Tayyip Erdoğan Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi* 20 (2021), 433-437.

ولمدة عشرين عاما تالية سعى الأستاذ سايح جنيدي جاهدا ليل نهار إلى تخفيف المعاناة بين الناس في محيطه، وإلى توحيد شملهم ورفع مستوى وعيهم، والنأي بهم عن المزالق التي سعى نظام الأسد لدفعهم إليها، ونجحت تلك المساعي نسبيا في الحيلولة دون نجاح مساعي النظام لتشتيت شمل الناس وزرع الخلافات الفكرية في صفوفهم، كل ذلك بصمت وحذر في بيئة عالية المخاطر تحفّها عيون وآذان الأجهزة الأمنية التي أنشأها الأسد للحيلولة دون قيام أية مساع تهدد تغوّله ومخططاته ومساعيه لفرض سلطته وجماعته على عموم البلاد وعلى غالبية مواطنيها.

واستفاد الأستاذ سايح من عمله في الشأن السياسي والعلاقات التي أقامها مع بعض شاغلي مواقع السلطة في البلاد ممن ينحدرون من ذات البيئة والمنبت الطبقي لإيفاد الكثير من أبناء محافظة حمص إلى الخارج بغرض استكمال الدراسة والتحصيل العلمي، وقد عاد الموفدون هؤلاء إلى حمص يحملون شهاداتهم الدراسية ومؤهلاتهم العلمية، فكان منهم الطبيب والمهندس والمدرّس والإعلامي.... وغيرهم. كما أسهم في الوقت نفسه بالإيفاد الداخلي لأبناء حمص للدراسة في الجامعات السورية المحدودة في حينه، مما أسهم في رفع السوية العلمية والتعليمية في البيئة المحيطة به.

وعلى المستوى الخدمي ساهم الأستاذ سايح في وقت مبكر في تأسيس العديد من البلديات (المجالس المحلية) في مناطق متعددة من ريف حمص لتقوم بأعمال البنية التحتية في مختلف المناطق.

وترافق ذلك مع تأسيس جمعيات خاصة بالأعمال الزراعية بشقيها النباتي والحيواني، والمساهمة في إنشاء وحدات الإرشاد الزراعي ومستوصفات للخدمات الطبية.

كل ذلك دون التوقف عن التحضير والتهيئة لبناء المزيد من المدارس بمختلف المستويات التعليمية في مختلف أنحاء ريف محافظته حمص بما يشمله ذلك الريف من تنوّع في الشرائح الاجتماعية والديانات والطوائف، فيما كانت عيون الأجهزة الأمنية التي اعتادت على زرع الفرقة والانقسامات بين مكونات الشعب السوري، ترقب بعين الشك والريبة نشاطات الأستاذ سايح وفاعليته ومتابعته والنتائج التي تعكسها هذه النشاطات على الوعي العام والتآلف الاجتماعي.

**النشاط الاجتماعي:**

عمل الأستاذ سايح على إصلاح ذات البين في الخلافات التي كانت تقع بين الأفراد والعائلات والجماعات في حمص ومحيطها، وكان ساعيًا دائما للصلح والتوافق والعمل على فض النزاعات التي كانت تقع بين العائلات وبين العشائر مستعيناً في ذلك بالوجهاء من الأعيان وشيوخ العشائر ورجال الدين، وقد اشتهر الأستاذ سايح في هذا العمل بالحكمة والعدل وتغليب العقل والمنطق، وكان يرى فيه من عايشه مشروع بلد لا مشروع عائلة أو جماعة، وقد لمس أهله فيه ذلك وزرع هذه التربية في أولاده وجواره وأصحابه، كما ساهم في تعزيز موقف رجال الدين في المجتمع والدولة وعالج كثيراً من المشاكل التي كانت توّرقهم وتشكّل هاجساً لهم، ودافع عنهم في كافة المحافل، ودعّم دورهم في الأطر الاجتماعية والتربوية والتعليمية. وقد شجع الأستاذ سايح دائما الوسطية والاعتدال والابتعاد عن التطرّف والغلو والتكفير.

**سايح جنيدي فلاحاً**

ومن الجدير بالذكر أنه في نهاية الستينيات من القرن الماضي تم تكليف سايح جنيدي بالإشراف على توزيع الأراضي بموجب القانون الشهير بالإصلاح الزراعي، وشمل هذا التكليف عدة مناطق في قرى حمص (شمسين، الديبة، النقيرة، تل الشور) فقام الدكتور سايح بتوزيع الأراضي وفق المعايير المتبعة، واستثنى عائلته بالكامل من التوزيع، وعلل ذلك أنه من كان منكم يريد أرضاً فعليه أن يشتريها. وتحقيقاً لقناعته وعلاقته بالأرض قام بشراء قطعة صغيرة من الأرض استطاع أن يحولها خلال عام واحد من أرض شبه صالحة للزراعة إلى أرض مفعمة بالخير، فكانت علاقته بالأرض علاقة مميزة، فهي الوطن، ويرى لزاماً عليه أن يحولها إلى جنة على الأرض، وفي غضون سنوات قليلة تم له ذلك.

أما على المستوى العام فقد ساهم الدكتور سايح جنيدي بمشروع الحزام الأخضر الذي استفادت منه عشرات القرى في المنطقة الشرقية من محافظة حمص، والتي تحولت إلى ربوة خضراء غنية بأشجار اللوز والزيتون بعد أن كانت أراضيَ قاحلة يكاد أصحابها لا يزرعونها إلا الشعير في مواسم المطر.

وفي هذا المستوى ساهم الدكتور سايح جنيدي من خلال تواجد ابن قريته الدكتور المهندس محمود الكردي وزيرا للزراعة في سوريا بإنشاء مديريةً عامةً للنخيل في حمص، وكذلك مؤسسةً لإكثار البذار، ومؤسسة للأعلاف، في محاولة لرفع المستوى الزراعي وتطوير الأداء.

ورغم هيمنة الحكم العسكري والأمني إلا أنه لم يألُ جهدا في محاولاته الحثيثة لرفع الظلم عن أصحاب الأراضي الذين استولى الجيش عليها وحولها لمنافع شخصية.

**الأستاذ سايح "أبو أسامة" الأب المربّي:**

اشتهر الأستاذ سايح اجتماعيا بلقب "أبو أسامة"، وكان أسامة ابنه البكر، أعقبه سبعة أولاد يقولون فيه:

((كان الأب والصديق والرفيق الذي شاركنا الفرح والحزن والهم والفرح، جعل منهجه في تربيتنا الكلمة الحسنة والرحمة قولاً وعملاً دون أن يمنعه ذلك من بيان أوجه الحق والحلال والحرام والخطأ والصواب، زرع فينا المحبّة والخلق والقيم وعلمنا التمسّك بالدين الحنيف، كان يرى في أبنائه أملاً بدأ العمل عليه وسيتابعون تحقيقه بإذن الله.

مع بداية تعلمنا القراءة ومن ثم اتقانها بدأ تحقيق أسباب المعرفة عند أبنائه، فأطلعنا على ميثولوجيا الأمم من عرب وفرس ويونان وهند، ثم انتقل بنا لدراسة تاريخنا من خلال بعض الكتّاب مثل أحمد أمين فأطلعنا على فجر الإسلام وضحاه وظهره وعصره، و كان رفيقا حتى في القراءة فكان يشاركنا في التحليل والاستنتاج والاستنباط، يومها طلب منه أحد أبنائه كتاب مغرب الإسلام، حينها ابتسم بثقة وقال: الإسلام ليس له مغيب يا بني .

عهدنا في أبينا الحزم والهدوء وسعة الصدر وكرم الأخلاق. كان معلماً لنا حتى في صمته الذي كان له بريق أعلى شأناً من نياشين الكلام، وإن تحدث كان مقتضباً وجازماً،

ومما تعلمناه منه الوقوف على المبدأ قولاً وفعلاً، فكان دائما ما يردد على مسامعنا قول الشاعر

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً ***إن الحياة عقيدةٌ وجهادُ

إلا أنه كان دائماً ما يحضنا على سلامة المبدأ وأحقيته بعيداً عن التزمت، فكان يشجعنا على أن نعود عن الخطأ ونعتذر عنه، ويعتبر ذلك من موجبات الفضائل وحُسن الشيم. وقد حرص كلّ الحرص على تأمين كلّ ما نحتاجه في التحصيل العلمي، فكان معظمنا معلمين نسير على دربهِ ونقتدي بسلوكه)).

**العدالة طبع فيه:**

اتّسم الأستاذ سايح بصفة العدالة في كل شؤون حياته وأعماله وتصرفاته، وفي علاقته لمحيطه مع اختلاف سعة الدوائر المحيطة به، فقد كان عادلا في علاقته مع إخوته ويؤثرهم على نفسه، وكان عادلا في توزيع محبته وعطائه لأولاده ولا يفاضل بينهم بما يملك، وكان عادلا مع أقاربه وجيرانه وفي علاقاته بمرؤوسيه في عمله، وقد جعله ذلك حكما مقبولا في الخلافات التي كانت تقع بين الأفراد والجماعات مهما بلغ عددها وبلغت قوتها ونفوذها، وماكانت القوة والنفوذ التي يتمتع بها أحد الأطراف المتنازعة لتحول بينه وبين أن ينصف في حكمه، رغم أنه كان يؤثر الصلح على الحكم، ويمنح مساعي الإصلاح الكثير من وقته وجهده.

ومما يُشهد له أنه لم يستغلّ يوما علاقاته ومعارفه في القضاء ودور المحاكم للتأثير على مجرى قضية معينة أو التأثير في قناعات القضاة، بما في ذلك القضايا المتولدة عن نزاعات كان يسعى للإصلاح فيها اجتماعيا، وكان يرى أن جهود الإصلاح تساعد القضاء في لملمة أطراف النزاع وتحقيق العدالة في الحكم مع حفظ الحقوق الشخصية.

وفي ذلك يقول القاضي مصطفى القاسم الذي شهد نشاطاته وجهوده: "لقد عرفنا المرحوم سايح الجنيدي أخاً وصديقاً وأستاذاً وقدوة في مكارم الأخلاق والأدب، عرفناه مسؤولا ومواطنا عاديا، كان يحترم جميع من حوله ويعطف على الضعفاء، ويناصرهم في استيفاء حقوقهم والدفاع عن مظالمهم وحل خلافاتهم والتغلّب على مشكلاتهم، ويبذل في سبيل ذلك كل جهد، ويسهر في سبيل تحقيق النتائج الليالي الطوال المتوالية، ولم يكن يألو جهدا أو يدّخر وسعاً أو يعدم وسيلة أو تواصلاً. ولكنه كان إذا وصل إلى نزاع معروض على القضاء اكتفى بالإصلاح خارج مجالس القضاء دون التدخل في سير القضية أمام المحاكم، معوّلاً على أن نجاحه في الإصلاح سوف يساعد في تنازل الأطراف أمام القضاء عن حقوقهم الشخصية التي وصلوا إليها أو تنازلوا عنها صلحاً ووفاقاً، وبالتالي يبقى للقضاء متابعة القضية بحياد ونزاهة لناحية الحق العام إن كان له وجه، سيّما وأن الصلح كان ينهي معظم القضايا التي كانت لتستمر وتتفاقم في ردهات المحاكم لولا جهود الإصلاح".

**العودة إلى مقاعد الدراسة:**

وفي منتصف تسعينات القرن الماضي تابع الأستاذ سايح مسيرته التعلّمية من جديد إذ التحق بقسم الأدبيّات في جامعة حمص ليفوز بشهادة دبلوم الدراسات العليا في عام 1996، ثم نال درجة الماجستير بدرجة امتياز من ذات الجامعة في عام 2001، وتابع دراسته في جامعة حمص حتى نال درجة الدكتوراه بدرجة امتياز عام 2005م.

والتحق بالتدريس من جديد ولكن بمرتبة مدّرس جامعي في كلية التربية في جامعة مدينته حمص حتى عام 2011، حيث قامت الثورة السورية في الخامس عشر من شهر آذار ضد منظومة الفساد والاستبداد التي تجاوزت جميع الحدود في ظلمها وبطشها، وفرضت هذه المنظومة على السوريين المشاركة في قمع الثورة، وإلّا فسوف يعدّونَ مشاركين فيها، وإنّ الامتناع عن مساندتها في حربها على الشعب السوري سببا كافيا لأجهزتها الأمنية وميليشياتها لاعتقال وتعذيب وقتل الممتنع.

وكان موقف الدكتور سايح صريحا وواضحا وموجبا للمشاركة في الثورة على نظام الاستبداد والفساد باعتبار ذلك الطريق الوحيد لتحقيق الحرية والكرامة للشعب السوري، وقام الدكتور سايح بتشجيع أبنائه ومعارفه على المشاركة في الثورة، كما شارك في بعض الفعاليات الاجتماعية التي تحضّ على النشاط الثوري لأجل الكرامة وليس لأجل الخبز، وطالب الجميع بالمشاركة في الثورة، ولكن خوف أبنائه عليه، وقد تقدموا صفوف العمل الثوري، من المخاطر الكبيرة التي باتت تهدد حريته وحياته، ومطالبتهم له بالخروج إلى منطقة آمنة، كل ذلك اضطره إلى مغادرة موطنه سورية متجها إلى لبنان أولاً، ليستقر به المقام لاحقا في تركيا.

ومنذ عام 2012 أقام في مدينة اسطنبول، حيث قام متطوعا دون مقابل بتعليم اللغة العربية لبعض الراغبين في تعلّمها بشكل إفرادي وفي بعض حلقات العلم، واستمر على ذلك حتى انتقاله إلى ولاية ريزا في منتصف عام 2013، حيث انضمّ إلى جامعة رجب طيب أردوغان، كلية الإلهيات، وفيها قام بتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها.

**الدكتور سايح جنيدي في عين صديق**

يقول زميله وصديقه المقرّب إبراهيم السليمان الذي رافقه طول مدة إقامته في ريزا:

قد تكون شهادتي بأخي الدكتور سايح جنيدي مجروحة، ولكن عندما تُجمِعُ كلمةُ جميعِ مَن عَرَفهُ من زُملاء وجيران ومعارف على تميّزه بالتواضع والهدوء والاتزان ودماثة الأخلاق، تطمئنّ نفسي إلى صدق ما أقول.

قضينا معًا ثماني سنوات لم نفترق يومًا، لم يؤثِّر بي شخص كما أثّر بي أبو أسامة، كنّا السوريّين الوحيدين هنا، كان الصديقَ الصدوقَ والصاحبَ الوفيَّ والزميلَ المخلصَ، مَلأ عليّ حياتي؛ فعوّضني عن إخوة وأقارب وجيران فارقتهم، وكان لأولادي الجدّ والعم والخال، فكم ساعدني في تنشئتهم وتوجيههم، إذ جذبهم بحسن صحبته وتواضعه، فكان يَصِلُ بهم بالنصح والإرشاد إلى مالم أستطع الوصولَ إليهِ والبوحَ به.

لقد رأيت من إيثاره ما لم يتصور أحد وجوده في زماننا، فكان يُقدّم التفكير بالآخرين على التفكير بشؤونه الخاصة، فينبّه لكل واجبٍ ويسرعُ بالقيام به، وما رأيته يتفرّد بخيرٍ أو مكرمةٍ، ولا يقدّمُ نفسه على زميل أو صديق أو رفيق صغيرًا كان أو كبيرًا، في مختلف المجالات المعنوية والمادية. فكم وكم أحرجنا بتواضعه وحسن معاملته (فكان إصراره وقَسمُهُ يغلب محاولاتنا المتكررة لثنيه عمّا يَفعَلُ: فتراه لا يدخل مكانا حتى يقدّمنا قبله، ولا يجلس حتى نجلس، وإن كنّا في جَمعٍ قدّمنا في الكلام، وإذا زرناه يجلس متحفزا ويخدمنا بنفسه، وهذا ديدنه حتى مع طلابه في المعاهدِ الخاصة الذين رفض رفضًا قاطعًا أن يتقاضى أيّ أجر على تعليمهم العربية. ومثل تلك المآثر كثير).

وما شغَلَه شأنٌ خاصٌّ عمّا تعيشه بلادُنا، فكان يُتابعُ أدقَّ التفاصيلِ، ويكتبُ كلَّ ما من شأنه نُصرة أهلنا المظلومين. وما بَهَرَه الجمال الذي يحيط بنا في ريزا الساحرة؛ فما هو إلاّ بَعضُ جَمالٍ يَسكنُه، فارق أغلاه في تراب وطنه، فكان يصوغه جواهر في كتابه (كلمات بيضاء على شاطئ البحر الأسود) ذرف دموعا أكثر من مداد كلماته، رغم أمل لم يخبُ يوما بعودة ميمونة ليقبل تُراب أرض ما فتئ ذكرُها نغمًا على لسانه يشدو به حتى آخر أنفاسه.

جلسنا كثيرا ومشينا كثيرا، قرأنا وتسامرنا وتحاورنا، خطّطنا وحلمنا وتمنّينا. ولكنّ إرادة الله فوق كل إرادة، فقد دَهَمهُ مَرضٌ لا يُطاقُ جابَهَهُ بصبرٍ وعزيمة خمس سنين، حتى آخر جملة قالها لي تتردد في سمعي: لا تحزن يا أخي فأنا بخير.

اعذرني يا أخي أبا أسامة لأنّني لا أجيد التحدث عنك، وما اكتسبته منك من أدب وفصاحة وبلاغة تأبى الحضور. فالكلمات تخذلني والتعبير يخونني وأنا أكتب عنك، فأنا متأكّد أنّك لو قرأت ما كتبت لقلت: ما هذا إبراهيم الذي أعرفه، نعم أنت على الحق يا صاحبي، ولكنّك لا تعلم أنّ بعضًا مني قد مات برحيلك. ولكنني لن أخذلَكَ، فقد وعَيْتُ خُلاصةَ ما تُريد، وأعلنت للجميع: أنّك فارقتنا ويدك تشدّ على أيدينا، وفي عينيك ألف حكاية، ووصيّة تقول: لا تيأسوا... أكملوا المسير.